*نماذج للمقابلة الجيدة، وأثرها في الكلام*

*بحث فى دراسات بلاغيه*

إعداد أ/ عادل محمد فتحي

*قسم اللغة العربية*

*كلية اللغات – جامعة المدينة العالمية*

*شاه علم – ماليزيا*

*adel.mater@mediu.edu.my*

**خلاصة ـــ هذا البحث يبحث في نماذج للمقابلة الجيدة، وأثرها في الكلام**

**الكلمات المفتاحية : الأغراض ، القرآن الكريم ، السامعين**

1. **المقدمة**

 **الحمد لله، والصلاة والسلام على سيدنا رسول الله، وعلى آله وصحبه ومن والاه، سوف نتحدث في هذا المقال عن نماذج للمقابلة الجيدة، وأثرها في الكلام**

1. **عنوان المقال**

**ولعله من المناسب لإثبات ذلك، أن نعرض لبعض النماذج التي جاءت فيها المقابلة رائعة جيدة؛ لكون المعاني والأغراض هي التي استدعتها، ومن ثمَّ وقعت المعاني والأغراض موقعًا حسنًا في نفوس السامعين.**

**ومن جيد المقابلة في النفس: ما ورد منها، في القرآن الكريم؛ حيث جاءت في أعلى درجات الإعجاز البلاغي، وقد مر بك بعض الأمثلة القرآنية، ومن الأمثلة القرآنية، قول الله تعالى: {ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ} [الأنعام: 125]، وقد قابلت الآية بين الهداية وشرح الصدر، وبين الضلال وضيق الصدر، والآية تعزية وتسلية لرسول الله  لما يلاقيه من عناد الكفار وغرورهم، فهي إخبار من الله لرسوله ألَّا يهتم بأمرهم، ولا يحزن عليهم، فالأمر كله لله، فمن أراد الله هدايته للحق وتوفيقه للخير؛ فإنه يشرح للإسلام صدره، ويوسع بالقرآن قلبه، فعند ذلك يستنير الإسلام في قلبه، ويتسع له صدره.**

**وقد سئل رسول الله  عن شرح الصدر، فقال: ((هو نور يقذفه الله في قلب المؤمن، فينشرح له وينفسح، فقالوا: فهل لذلك من أمارة يُعرف بها؟ قال: الإنابة إلى دار الخلود، والتجافي عن دار الغرور، والاستعداد للموت قبل النزول))، أما من فسَدت فطرته وساءت نفسه إذا طُلب إليه أن ينظر في الدين ويدخل فيه، يجد في صدره ضيقًا، وذلك لما استحوذ عليه قلبه وامتلأ من سيئ التقاليد، والحسد، والعناد والكِبر والغرور، وهذا الصنف تكون إجابة الداعي عنده ثقيلة على نفسه جدًّا، ويشعر بضيق شديد وحرج كثير، كأنه كُلِّف من الأعمال ما لا يطيق، أو أمر بصعود السماء.**

**وواضح أن المقابلة، أدت حقها في تأدية هذا المعنى والوفاء به، وأبرزت كلا الفريقين وحالهم في الصورة التي أرادها الله لهما، مما يبعث الطمأنينة ويزيل الحزن في نفس الرسول الكريم .**

**ومن جيد المقابلة: ما جاء منها، في حديث الرسول  : ((تعسَ عبد الدينار، وعبد الدرهم، تعس عبد الحلة والخَميصة، إن أعطي رضي، وإن مُنع سخط، تعس فلا انتكس، وإذا شيك فلا انتقش))، فقد قابل في الحديث بين أعطى ورضي من جانب، وبين منع وسخط من جانب آخر، فجاءت المقابلة رائعة خلابة.**

**ومن جيد المقابلة: قول الإمام علي > في خطابه لعثمان >: "إن الحق ثقيل مريء، والباطل خفيف وبيء"، فقابل الحق بالباطل، والثقيل المريء بالخفيف الوبيء.**

**وقال الحجاج بن يوسف، حين أراد قتل سعيد بن جبير لما أُحضر إليه، أمر مَن كبَّه على وجهه، ثم قال: مَن أنت؟ فقال: أنا سعيد بن جبير، فقال: بل أنت شقي بن كسير؟ فقابل سعيد بشقي، وجبير بكسير.**

**قال العلوي معلقًا على هذه المقابلة وجودتها: "كان الحجاج من المعدودين في الفصاحة، والمشار إليهم في البلاغة، مع شناعة ما فعل بأهل الإسلام في عصره".**

**ومن جيد المقابلة وألطفها، قول رجل لسيدنا معاوية > يعزيه في وفاة بنت له: الحمد الله الذي أكرمها بوقوفك على قبرها، ولم يخزها بوقوفها على قبرك.**

**ومن ذلك قول الحسن >: "ما رأيت يقينًا لا شك فيه، أشبه بشك لا يقين فيه من الموت".**

**ومن كلام بعض البلغاء: مَن أقعدته نكاية اللئام، أقامته إعانة الكرام، من ألبسه الليل لون ظلمائه، نزعه النهار عنه بضيائه.**

**ومن الأشعار مما جاءت فيها المقابلات جيدة رائعة، قول أبي تمام:**

|  |  |  |
| --- | --- | --- |
| **قد ينعم الله بالبلوى وإن عظمت** | **\*** | **ويبتلي الله بعض القوم بالنعم** |

**فقابل بين ينعم والبلوى، وبين يبتلى والنعم.**

**ومنه كذلك، قول الآخر:**

|  |  |  |
| --- | --- | --- |
| **لعمرك ما الإنسان إلا ابن دينه** | **\*** | **فلا تترك التقوى اتكالًا على النسب** |
| **فقد رفع الإسلام سلمان فارسًا** | **\*** | **وقد حُط بالشرك النسيب أبو لهب** |

**حيث قابل بين رفع والإسلام وسلمان الفارسي من جهة، وبين حُط والشرك وأبي لهب من جهة ثانية؛ فجاءت مقابلته جميلة رائعة.**

**ويجرنا هذا إلى الحديث عن بيان الفرق بين المطابقة والمقابلة: وكثير من البلاغيين يرون أن المقابلة نوع من الطباق، وأنها داخلة فيه، والخطيب القزويني، يذكر هذا اللون بعد فراغه من الطباق وأقسامه، بقوله: "ودخلت المطابقة ما يخص باسم المقابلة"، وكذلك فعل غيره من المتأخرين، وحجتهم: أن هذا اللون قائم على الجمع بين معنيين متقابلين في الجملة، أي: على وجه مخصوص دون آخر؛ إذ ليس التقابل بين كل اثنين من المعاني مثلًا، فلا تقابل بين الضحك والقلة في قول الله تعالى: {فَلْيَضْحَكُوا قَلِيلًا وَلْيَبْكُوا كَثِيرًا}، حتى يكون طباقًا، ولا بين البكاء والكثرة في الآية، وإن كان فيه مقابلة بين الضحك والبكاء، والقلة والكثرة؛ فحيث كانت في المقابلة جمع بين معنيين متقابلين في الجملة؛ كان طباقًا لصدق تعريفه عليه، وإن عُدَّ من حيث التقابل بين العبارتين مقابلة.**

**أما السكاكي، فقد جعل المقابلة قسمًا قائمًا برأسه، من المحسنات المعنوية، وعرَّفها بقوله: أن تجمع بين شيئين متوافقين أو أكثر، وبين ضديهما، ثم إذا شرطت هنا شرطًا شرطت هناك ضدَّه، ومثَّل لها بقوله تعالى: { ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ }، وقد تبع السكاكسي، قومٌ منهم: العلامة عبد الحكيم، فقد رجح رأي السكاكي، وعلل هذا الصنيع بقوله: "لا يخفَى أن في الطباق حصولَ التوافق بعد التنافي؛ ولذا سُمي بالطباق، وفي المقابلة حصول التنافي بعد التوافق؛ ولذا سمي بالمقابلة، وفي كليهما إيراد المعنيين بصورة غريبة، وكل منهما محسن بانفراده، واستلزام أحدهما للآخر يقتضي دخوله فيه، فالحق مع السكاكي في جعله المقابلة قسمًا مستقلًّا من البديعيات المعنوية.**

**وذهب قوم من البلاغيين إلى أن المقابلة أعم من الطباق، قال المطرزي: "المقابلة أعم من الطباق، فإن المقابلة يدخل فيها، نحو: أن تبنوا الدنيا وغَيث الجود، فلم يعتبر التنافي"، وصاحب (بديع القرآن)، شرط في المقابلة: أن تكون بأكثر من اثنين من الأربعة إلى العشرة، وعلى هذا، فالمراد بالتوافق ليس التناسب؛ بل خلاف التقابل مطلقًا، سواء كانا متناسبين أو لا، ولا شك أن الطباق كله تقابل، كما سبق أن ذكرنا في التعريف.**

**فاسم التقابل صادق عليه إلَّا أنهم اصطلحوا على تسميه هذا النوع فقط تقابلًا، وهو ما كان الطباق فيه مكررًا، فإن قلتَ: إذا كان التقابل المراد أخص من الطباق، والأخص لا يدخل في الأعم، بل أعم يدخل في الأخص، قلتُ: كثيرًا ما يقال عن الفرد، إنه داخل في الجنس، والمراد إعلام أنه فرد من أفراد الجنس غير خارج عنه، لم يريدوا دخول النوع بجميع أجزائه، بل دخول فيه من حصة الجنس. انتهى من: (عروس الأفراح).**

**وإذا نظرت إلى هذه الآراء وجدت أن الحق مع الخطيب ومَن تبعه، ذلك أن المقابلة وإن اختصت باسم مستقل، وكان بينها وبين المطابقة فرق، إلَّا أن هذا الفرق يتحدد في أن المطابقة، ويكون الجمع فيها بين لفظين مفردين، يعني: أن كل طرف من طرفي الطباق يكون مفردًا، بينما الجمع في المقابلة يكون بين أكثر من لفظين.**

**وليس هناك فرق بينهما على الأصح سوى هذا، فنحن إذ نتعرض للمقابلة على أنها لون من ألوان المحسنات البديعية، فلسنا بعيدين عن اللون السابق وهو الطباق، بل ما زلنا في رحابه.**

**وللحديث عن أثر المقابلة في بلاغة الكلام، نقول:**

**إن ما سبق أن أشرنا إليه في الطباق من أن الجمع بين المتقابلين من الأمور المركوزة في الطباع، والتي لها تعلق ببلاغة الكلام، ولها أثر واضح في النفوس، وتتعلق بها أغراض المتكلمين، ما قلناه هناك يقال مثله هنا، فنحن ما زلنا مع الجمع بين المتقابلين، وعلة الحسن في الطباق، قائمة على الجمع بين الضدين، وهي نفس العلة التي تقوم عليها المقابلة.**

**ولكي نزيد الأمر وضوحًا في المقابلة، نضرب مثالًا بقول النبي  لأصحابه من الأنصار: ((إنكم لتكثرون عند الفزع، وتقلُّون عند الطمع))، فقد قابل الكثرة عن الفزع بالقلة عند الطمع، والغرض الشريف من هذا القول، هو أن يُثبِت  هوانَ الدنيا لدى أصحابه } وقلة مبالاتهم بتقديم أنفسهم فداءً لمبادئهم، وفي سبيل دينهم، وإرضاءً لربهم، وإذا كان شأن كل شيء الكثرة حينًا والقلة حينًا آخر، فإن كثرة هؤلاء تكون حيث تكون التضحية والبذل، وتقديم الأرواح؛ دفاعًا عن الحق ونصرته، وقلتهم تكون حيث يكون عَرَض الدنيا، ويكون المطمع في زخرفها.**

**فهذا التقابل، بين كثرتهم في مواقف الفزع، وقلتهم في مواقف الطمع، حقق للقول الشريف هذا الغرض الذي رمَى إليه الكلام، وأعطى الصورة الحقيقية لما عليه صحابة النبي الكريم ، ورضوان الله عليهم.**

**وهذا القدر كافٍ في إثبات الحسن الذاتي للمقابلة، وكذلك غيرها في كل الأساليب التي تشتمل على هذا اللون، كما في الطباق جمعٌ بين الشيء وضده، وهذا يضفي على الكلام بَهاءً وحسنًا، ويجعل لكل من المتقابلين حسنًا لا يكون له إذا جاء وحده.**

**وبعد هذا التطواف حول هذا اللون من ألوان البديع، لنا أن نتساءل عن الفرق بين المقابلة، وبين كلٍّ من مراعاة النظير، والطباق؟ وهل يشترط التناسب بين المعاني المتقابلة؟ وما هو الأثر الذي يُحدثه هذا الصبغ البديعي في بلاغة الكلام؟**

**المراجع والمصادر**

1. **القزويني ، زكريا بن محمد القزويني تحقيق: محمد السعدي فرهود ، (الإيضاح في علوم البلاغة) ، طبعة رقم1، سنة النشر: 2001 م**
2. **الجرجاني، عبد القاهر الجرجاني، قرأه وعلق عليه محمود محمد شاكر، (دلائل الاعجاز) ، ط5، مكتبة الخانجي، 2004م.**
3. **أبو موسى، د. محمد محمد أبو موسى، (دلالات التراكيب دراسة بلاغية) ، القاهرة، مكتبة وهبة للطباعة والنشر والتوزيع، 1987م**
4. **المراغي، أحمد مصطفى المراغي، (تاريخ علوم البلاغة و التعريف برجالها) ، القاهرة، مكتبة و مطبعة مصطفى البابي، ط1، 1950م**
5. **فيود ، د. بسيوني عبد الفتاح فيود ، (علم البيان: دراسة تحليلية لمسائل البيان) ، القاهرة، مؤسسة المختار ، دار المعالم الثقافية، الإحساء ، ط 2، 1998 م**
6. **الخوارزمي ، الشيخ يوسف بن أبي بكر بن محمد بن علي الخوارزمي الملقب بسراج الدين السكاكي، (مفتاح العلوم) ، لبنان، مكتبة المقهى، نشر دار الكتب العلمية، الطبعة الثانية ، 1987م**
7. **الشاطئ، عائشة بنت الشاطئ، (التفسير البياني) ، مكتبة المجلس، الطبعة الأولى، 1962م**
8. **فيود، د. بسيوني عبد الفتاح فيود، (علم البديع: دراسة تاريخية وفنية لأصول البلاغة ومسائل البديع) ،القاهرة، مؤسسة المختار، 2004**
9. **الصعيدي، عبد المتعال الصعيدي، (البغية على الإيضاح لتلخيص المفتاح في علوم البلاغة) ،مكتبة الآداب، 1999م**
10. **شاهين، كامل السيد شاهين، (اللباب في العروض و القافية) ،القاهرة، الهيئة العامة لشئون الأميرية، 1978م**
11. **القيرواني، ابن رشيق القيرواني، (العمدة في محاسن الشعر وآدابه) ،الناشر: دار الكتب العلمية، 2001م**
12. **أبو موسى، د. محمد محمد أبو موسى، (التصوير البياني) ،القاهرة، مكتبة وهبة للطباعة والنشر والتوزيع، 1997م**